(للبيت رب يحميه)

خالد بن ضحوي الظفيري

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحْمَدُهُ ونستعينه ونستغفره، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أَنْفُسنا ومن سيئاتِ أَعْمالنا، من يهدِه اللهُ فلا مُضلَّ لَه، ومن يضلل فلا هادي لَه، وأَشْهدُ أَن لَّا إِلَه إِلَّا اللهُ وحدَه لَا شَرِيكَ لَه، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عبدُه ورسولُه، ﴿يا أَيُّها الَّذين آمَنوا اتَّقُوا اللَّه حقَّ تُقَاته ولَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وأَنْتُم مسلمونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

عباد الله:

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن من أعظم شعائر الله في هذه الأرض: بيته الحرام، وكعبته المشرفة، ومكة التي اختارها الله من بين بلاد الدنيا، فجعلها حرما آمنا، وقبلةً للمسلمين، ومهوى لأفئدة المؤمنين.

ولهذا البيت قصةً عجيبة، خلدها القرآن إلى قيام الساعة، حتى جعل الله سورةً كاملة يتلوها الصغير والكبير، في مشارق الأرض ومغاربها: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾. خمس آيات قصيرة، ولكن وراءها قصةً تهزّ القلوبَ، وتبيّن عظمة هذا البيت، وسوء عاقبةً من أراده بسوء.

كان أبرهة الحبشي قد بنى في اليمن كنيسة عظيمة يقال لها القُلَّيس، وأراد أن يصرف العرب عن الكعبة إليها. ولكن كيف تُصرف القلوب عن بيت عظمه الله؟ وكيف ينافس بناء البشر بيتًا جعله الله مثابةً للنَّاسِ وأَمْنًا؟! فلما لم يتحقق لأبرهةً ما أراد، عزم على أمر عظيم، عزم على هدم الكعبة. جهز جيشًا عظيما، وجاء معه بالفيل، وسار من اليمن متجها إلى مكة. وهزم كل من كان في طريقه من العرب، ووصل أبرهة إلى أطراف مكة، واستولى جيشه على أموال للناس، وكان من بينها إبل لعبد المطلب بن هاشم، جد رسول الله ﷺ. فدخل عبد المطلب على أبرهة. وكان عبد المطلب رجلًا عظيم الهيئة، مهيب المنظر، فأكرمه أبرهة، وظن أنه سيكلمه في الكعبة، وأنه سيطلب منه أن يرجع عنها. ولكن عبد المطلب طلب إبله. فتعجب أبرهة وقال له: أتكلمني في الإبل وتترك البيت الذي هو دينك ودين آبائك وقد جئت لهدمه؟ فكان

جواب عبد المطلب الذي تناقلته كتب السيرة: «أنا ربُّ الإبل، وإن للبيت ربًّا سيمنعه». لله در هذه الكلمة! إن للبيت ربًّا يحميه. نعم لهذا البيت ربٌّ هو رب السماوات والأرض. ثم أمر عبد المطلب قريشا بالخروج إلى شعف الجبال خوفًا عليهم من الجيش. وأصبح أبرهة مستعدا لدخول مكة وهدم الكعبة. جيش يتحرك، وفيل ضخم يتقدم، وقوة بشرية لا يبدو أن أمامها قوة بشرية توقفها. وهنا جاء أمر الجبار القهار، فلما وجهوا الفيل نحو مكة برك. يضربونه ليقوم فلا يقوم. ويوجهونه إلى غير مكة فينهض ويسرع. فإذا وجَّهوه إلى البيت الحرام برك! عرف الحيوان حرمة جهلها المعتدي. ثم جاء الجند الذين لم يحسب لهم أبرهة حسابا. إنها جنود الله: ﴿وما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾، وأرسل الله عليهم طيرا من البحر أمثال الخطاطيف جماعات تتبع بعضها بعضا، ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره، وحجران في رجليه، تحمل حجارة محماة من سجيل، فرمتهم بها، وتتبعت قاصيهم ودانيهم، لا تصيب منهم أحدا إلا هلك، ليس كلهم أصابه العذاب في ساعته، بل منهم من هلك سريعا، ومنهم من جعل يتساقط عضوا عضوا وهم هاربون، وكان أبرهة ممن هرب وظل حتى تساقطت أعضاؤه عضوا عضوا، حتى مات ببلاد خثعم، وقيل: حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه. فخمدوا وهمدوا، وصاروا كعصف مأكول، كأوراق الزرع التي أكلتها الدواب ثم فتتها وداستها! وكفى الله شرهم، ورد كيدهم في نحورهم.

عباد الله:

حرمة البيت من أعظم الحرمات في الجاهلية والإسلام، لا يهم به عبد بسوء إلا أهلكه الله، فبيت الله هو قبلتنا وحجنا وكعبتنا، عنده تسكب العبرات وتجاب الدعوات، ونلبيه نداء الله إليه، فما أعظمه من بيت وما أشدها من حرمة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾، وقال جل وعلا: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾. وقال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة» متفق عليه.

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ، إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ: فَأُوصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللهِ، فَمَنِ اتَّقَى اللهَ وَقَاهُ، وَنَصَرَهُ وَكَفَاهُ.

عباد الله:

هذا التاريخ يشهد بكذب دعاوى أعدائنا في نصرة الإسلام أو الأقصى أو قضايا الأمة، كيف ينصرون الأقصى وهم يرسلون الصواريخ إلى بلد الله الحرام الذي هو أفضل من الأقصى ومن المسجد النبوي، كيف ينصرون الإسلام وهم فيما مضى يفجرون في البلد الحرام في أعظم المواسم وهو موسم الحج، كيف ينصرون الإسلام وهم يطعنون في النبي صلى الله عليه وسلم ويتهمون أزواجه ويكفرون أصحابه ويدعون تحريف القرآن ويقتلون أهل الإسلام ويذبحون أهل السنة، المسألة عندهم وفي دينهم مسألة دين واعتقاد في هدم الكعبة ونبش قبور الصحابة من المدنية وصلبهم، فاعرفوا يا عباد الله عقائد أعدائكم وافهموا نظرتهم إليكم، وأنتم قد رأيتم صواريخهم وأسلحتهم على جميع دول الخليج، **(هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ)**.

وإن تعجب فعجب ممن يؤيدهم من أهل الضلال والانحراف ويفتي بالفتاوى التي تساندهم وتمدحهم، ولكنه الغل الذي في قلوبهم على بلادنا وبلاد التوحيد والسنة، فكيف بمسلم أن يؤيد ضرب بيت الله الحرام، كيف بمسلم أن يؤيد قتل الأبرياء والاعتداء على الحرمات والمحرمات وإهانة شعائر الإسلام، فنعوذ بالله من الخذلان. اللهم انصر دينك وعبادك الموحدين.